انّما دُنيايَ نفسي فاذا ذهبَتْ نفسي فلا عاش أحَدْ
ليتَ انّ الشمس بعدي غَرَبَتْ ثمّ لم تَطْلُعْ على اهلِ بَلَدْ

وقال (ص ٨٧) في مصالحة العدوّ (من الوافر) :

وكم من مُرْتَدٍ للصُلح يوماً فلم يَنْجَحْ بذاك الارتيادِ
لانّ الجُرْح يُنقَضُ بعد حينٍ اذا كان البناء على فسادِ

ومما انشده في البطنة والشرّة (من المنسرح) :

كم اكلةٍ دخلَتْ حَشا شَرِهٍ فأخرجَتْ روحهُ من الجسدِ
لا بارَكَ اللهُ في الطعام اذا كان هلاكُ النفوسِ بالمَعِدِ

(الرقيم)

الإبل في نظر ضابط افرنسي

لحضرة الاب جبرائيل لوفلك اليسوعيّ

ليس شرقيّ يجهل ما للابل من عظم الشأن والاعتبار في عين اهل البادية من العرب وهم يدعونها سُفُن البرّ وقد اتّسعوا بوصفها حتى لو جُمع ما قالوا عنها شعرًا ونثرًا لضاقت به عدّة مجلّدات. قال القزويني في عجائب المخلوقات (طبعة غوتنغن ص ٣٧٨) ونقلهُ الدميري في كتاب الحيوان (١ : ١٦) ما حرفهُ :

« الابل من الحيوانات العجيبة وان كان عجبُها سقط من اعين الناس لكثرة رؤيتها وهو انّما حيوان عظيم الجسم سريع الانقياد ينهض بالحمل الثقيل ويبرك به ويقسك بزمامهِ فارةً فتذهب به الى حيث شاءت. ويتّخذ على ظهرهِ شبه بيت يقعدُ الانسانُ فيهِ مع مأكولهِ ومشروبهِ وملبوسهِ بطروفها والوسادة والشرقة واللحاف كأنّهُ في بيتهِ ويتّخذ للبيت سقفًا وهو يمشي بكل هذهِ . . . وقد جعلها الله تعالى طوال الاعناق لتثور بالاثقال وصبّرها على احتمال العطش حتى

ان ظمأها ليرتفع الى العشر وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم. وتصبر عن الماء ثلثة ايام »

ومن غريب الامور انَّ الابل مع كونها من الحيوانات الاهلية كالحمار والمواشي لم يكد الاوربيُّون حتى اليوم يعرفونها. وما لا يُنكر انَّهم ربَّما شطُّوا في وصفها ولو جُمعت بعض السفاسف التي قيلت عنها فنُشرت لتفكَّه بها القرَّاء

وها قد ورد علينا اليوم كتاب ضخم لأحد الضبَّاط الفرنسويين الكرمنسدان كوفه صنَّفهُ في الابل وكل ما ينوط بها (١ . وكتابهُ هذا ثمرة اختباره ودروسه مدَّة ثلثين سنةً قضاها بين رُعاة الابل وقد عُهد اليهِ امرُها وتربيتها فلم يَفُتْهُ شيء من احوالها. فرأينا ان نقتطف شيئاً من معلوماته الواسعة لنعرضها على قرَّاء المشرق

تؤلف الابل فصيلةً خصوصيَّة تمتاز عن سواها وتُعرَف بالفصيلة الإبليَّة (Camélidées) وهي جنسان جنسٌ يُدعى لاما (Lamas) وسكناهُ في اعالي جبال اميركة الجنوبيَّة وجنس آخر وهو الجمل الشائع في آسية وافريقية. وللجنسين كليهما انواع مختلفة. فالجمل على نوعين: الهجين الذي يعيش في صحاري آسية وافريقية والجمل ذو السنامين الذي يقطن في انحاء آسية الباردة. وبين هذه الاشكال فرق آخر وذلك ان اجناس الإبل تمتاز بعدد اسنانها فان للاما ٣٢ سنًّا وللجمل الاسيوي ٣٤ وللافريقي ٣٦

فان قصرنا النظر على الجمل ونوعيهِ وجدناهُ في انحاء محدودة من الارض. فانَّ الجمل ذا السَّنامين يستطيع ان يحتمل البرد القارس البالغ عشرين درجةً تحت الصفر من المقياس المئوي ويمكنهُ ان يتوغَّل الى اعلى الجبال المرتفعة حتى اربعة آلاف متر

١) هذا عنوانهُ Commandant Cauvet: Le Chameau. 1 vol. gr. in-8°, illustré de 82 Planches, 784 pp., 1925, *Paris, J-B. Baillère et fils.*

فوق سطح البحر . اما الجمل ذا السنام الواحد فقد خُلق للاقاليم البالغة الحرارة . ولا بُدَّ لكلا الشكلين من اراض يابسة وحجارٍ وَعْثة فيُستدلّ من تركيبها على الغاية التي لاجلها قد خلقهما الله . فانّ رجل البعير رخوة توافق الارض الرملية اللينة وقلّما تصلح لصعود الجبال . وقد جعل الله سنامهُ او سنامَيه كمستودع للدهن يغتذي به اذا حُرم الطعام وكذلك منحهُ الباري كرشاً واسعة متعدّدة المخازن يخزن فيها ما يطعمهُ فيجترُّهُ متى يشاء قبل ان يهضمهُ . ثمَّ انَّ في كل اعضاء الجمل ما يدهش النظر من قوائم ورقبة وسنام وأظلاف وسبع صلابات جاسية

وقد تفرَّد الجمل بخواصّ أخرى باطنة منها خاصَّة به لا تُرى حاضرًا في غيره من ذوات الاثدي اعني بها كُرَيّات دمهِ فانها إهليلجيَّة الشكل كدم الطير والزحافات . ومن خواصهِ التي يتاز بها ايضاً انَّ درجة حرارته الباطنة تختلف صعودًا وهبوطاً في النهار والليل

وعلى خلاف ذلك لا يصحّ في الجمل ما يتقاقلهُ العموم عن قناعته في الاكل والشرب . ولعلَّهم يُخدعون بما يرون من سنامهِ ومن اجتراره . والقول الصواب في ذلك انَّ اكل الابل يوازي ضخمها وعظم اجسامها لكنها قديرة على مقاساة الجوع والعطش مدَّةً طويلة على خلاف غيرها فانَّ الدوابّ اجمالًا إن لم تُعطَ عليفها في وقتها تخور وتعجز عن العمل . امَّا الابل فانها تثبت أيامًا على السير دون اكل ولا شرب لكنهُ اذا تمادى صاحبها في سَوقها عيت وسقطت . والبعير يصبر عادةً خمسة أيام عن ورود الماء . وربَّما زاد ايضاً على ذلك لكنهُ يحتاج الى الاكل في كلّ يوم . وهو يستطيع ان يخزن في كرشهِ الواسعة الى ثمانين ليترًا من الطعام . وكذلك يحسن اختيار علفهِ ولا يأكل قوتهُ إلَّا في ساعات معلومة وعلى شروط ثابتة ويأكل طعامهُ بكل هدوء فيقضي من خمس الى ست ساعات في اكلهِ

واعلم ان تعليف الابل يحتاج الى علم خاصّ بطباع الحيوان واخلاقه . واهل البادية من هذا القبيل اعلم من سواهم لعيشهم بين البعران حتى انهم تقلَّدوا في عدَّة امور عاداتهم . فانَّ انتقال رُعاة الابل في فصول السنة من مرعى الى آخر انما تستدعيه الابل من تلقاء ذاتها قبل رعاتها فتتبعها الرعاة لا تسبقها

انَّ بعض الاجانب يكتبون اليوم فصولاً مطوَّلة عن اهل الوَبَر والقبائل الرُّحَّل وعن الوسائط لنقلهم من العيشة البدويَّة الى العيشة المَدَنيَّة وهو نظر يستدُّونه من عيشتهم المدنيَّة ويخيَّل لهم انَّهم يستطيعون ان يحملوا اهل البادية على لزومه . وهذا غاط سبقهم اليه الرومان فسعوا مدَّة نحو مائتي سنة الى تحويل اهل الوبر الى السكنى في القرى لكنَّ الطبع كان اغلب فتوارى الرومان ولا يزال البدو يتنقَّلون في انحاء البادية صيفاً وشتاء . ولعلَّ الاوربيين الذين يحاولون ذلك في ايامنا لينيروا طباع الرُّحَّل يعودون ايضاً بالخيبة كاسلافهم الرومان وان توسَّلوا لبلوغ غايتهم بوسائل جديدة لم يعرفها الرومان

وما لا يمكن انكارهُ انَّ العيشة البدويَّة وحدها يمكنها ان تستفيد من تلك الصحارى القحلة الواسعة الارجاء التي تمتدّ في انحاء المعمور وليس الجمل إلَّا ملك تلك الصحارى يمكنهُ وحدهُ ان يقطعها اذ لا يوجد هناك مياهٌ إلَّا نادرة بعيدة المسافة عن بعضها . اما صاحبهُ فيجد فيه ما يحتاجهُ لمعاشه فينقل عليه اثاثه ويرتوي من لبنه ويغتذي من لحمه وينسج من وبره خيامهُ ويوقد من جلَّته نارهُ

وانَّما يعترض البعض على مضارّ رعية الابل في حدود السواد والاراضي المزروعة فيرون الاوفق زراعة الاراضي القحلة في البادية . نعم لا بأس من توسيع نطاق الزراعة على قدر الامكان ولكن شتان بين ذاك وبين نفي اهل الوبر وملاشاة قطعانهم

وان قيل ما حاجتنا اليوم الى الابل وقد قطعت سيَّاراتنا صحاري افريقية ومرَّت فوقها طيَّاراتنا فلِمَ نلتبك بعد بتربية الابل ؟ نجيب على ذلك انَّ هذه اوهام تخطر على بالي بعض اهل الخياليَّات . فليعلموا انهُ لولا مساعدة الابل والهاري لما استطاعت سيَّاراتنا وطيَّاراتنا قطع الصحراء . ثمَّ انَّ ركوب السيَّارات والطيَّارات انَّما يصلح لبعض الافراد لذوي الثروة . وهيهات ان تقوم بها حضارة البلاد مع ما تحتاج اليه تلك الادوات من مصانع ومخافر وذخائر وعدد عديد من المأمورين . اما الابل فهي الوسيلة الوحيدة المعدَّة في كلّ آن ومكان لخدمة تلك المهامه والمفاوز الرحبة والانتفاع من محصولاتها . ولذلك يصحّ قول بعض الكتبة : ان كانت الطبيعة قد أتت شططاً بوضعها الصحاري في ارضنا فانَّها أصلحت غلطها إصلاحاً تامّاً بتجهيزها الابل في خدمتها